قصة قصيرة

صباح أبي نويصر !!

ثويني بن محمد آل عليوي
السعودية

تخرج في صباح يواري وجهه عنك.. عيناك مغرورقتان بالنعاس.. تدعكهما متثائبا قبل أن تخرج مفاتيح السيارة من جيبك.. ينظر إليك هذا الصباح بعينه الصفراء.. فتداري نعاسك.. تلصق بوجهك نظارة سوداء.. تدير المفتاح.. فتبدأ سيارتك بالثرثرة التي تخجلك أمام الناس عند الإشارة الحمراء.

- أتخجل مني يا عزيزي؟

- لماذا لا تكفين عن الثرثرة؟

- ألم أقل لك مراراً بأني بحاجة إلى مال يغلق فمي.. هل تملك نقوداً؟

تتحسس جيبك.. لا يوجد بها سوى علبة الدخان.. تتناول واحدة تسابق أصابعك إلى شفتيك المتيبستين.. ثم تشعل عود ثقاب تظلم به صباحك.

- لماذا تهدر المال فيما يحرق جوفك.. أنا أولى به.

- عدت إلى الثرثرة.

- إنك تحرجني عندما تخرج الدخان من بين شفتيك ومنخريك.. ألا يكفي فعلي أنا هذا.

- أنت من يحرجني، فرائحتك الكريهة تعرفها شوارع الرياض.

- لا أظن بأن رائحة من اللفافة التي تدخنها ستكون بأفضل مني.

تتحسس ذاكرتك.. لا يوجد بها سوى أيام بيضاء.. كانت زوجتك تعد فيها إفطارك قبل ذهابك إلى العمل.. كان هذا قبل أن تتكور بطنها عدة مرات.. وقبل أن يتكور رأسك بهذا الدوار المرهق.

***

تحاول الدخول إلى مكتبك.. لا تستطيع.. رأسك المتكور يمنعك.. كنت تعلم مسبقاً أن تكوره في اطراد مستمر.. ولكنك في كل مرة تتأرجح تلذذك بهذا الدوار... تظل ساهماً.. تحدق في المشهد الذي أمامك.. أنت ودفاترك.. تسطر أحلامك على أوراقها.. يربكك النقاش المعتاد في غرفة والديك.. يتسرب غبار نقاشهما من بين شقوق الباب.. فيملأ أوراقك.. تسعل أحلامك.. تحاول أن تنفض عنك هذا الغبار.. لكن أحلامك ظلت تسعل وتسعل حتى أفقت بين أربعة حيطان كابوسية.. مليئة بالأوراق المغبرة.. مكتوب على بابها «الأرشيف».

- يا الله! على بابك يا كريم.

إنه أبو نويصر قادم كالعادة بالشاي الأسود كما ترغب؛ لعله يزيل عن رأسك هذا الدوار.. ما بالك تنظر إليه وكأنك تراه لأول مرة.. وتظن بأن هذه الصدرية التي يرتديها من خيوط الهم الحديدية فهي تقوس ظهره.. يناولك الشاي ويصبح عليك.. تأخذه مصبحاً وأنت تتفحص وجهه.. ترتطم بعينيه.. تنكص نظرتك.. لعينيه بريق غامض.. لا تستطيع أن تسمع منه أي خبر عن حاله .. أهو سعيد أم تعيس؟ هل يكفيه مرتبه القليل أم لا؟ هل يتكور رأسه بدوار مرهق؟ لا تعتقد ذلك؛ لأن مثله لا يملك سيارة ثرثارة أو زوجة لا تعدّ له إفطاره أو أحلاماً ظلت تسعل حتى خروج الروح.

***

عيناك معلقتان بسقف الغرفة.. صوت دقات الساعة يملأ أذنيك.. تتنبه إلى عينين تطلان عليك من السقف.. إنهما عينا أبي نويصر.. لهما بريق يريد محادثتك.

- تشرق وتغرب يا ولدي.

هي جملته التي يرددها دائماً على مسامعك.. الآن تشعر وكأنك تنظر بعينيه.. تنظر إلى نفسك.. يذهلك كم تبدو قزماً.. وكم يبدو هذا الدوار قزماً أيضاً.

***

تخرج في صباح يبدو قزما..

- يا الله! على بابك يا كريم.